المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة

معهد الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربي

عنوان الدرس : واقع تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم

أ.د عبد الحميد بوفاس

1-تعريف اللغة :

اختلفت تعريفات اللغة بين القدماء والمحدثين، وبين العلماء العرب وغير العرب، وبين النحوي والبلاغي، وبين الفقيه واللغوي، وغير ذلك من العلوم والتخصصات التي اشتغلت على اللغة.

وإن كنا نستأنس ببعض التعريفات لا لغرض الوقوف على التطور التاريخي لمفهوم مصطلح لغة، ولا لغرض أيها أقرب إلى الصواب، بقدر ما نرمي إلى الوقوف على الاختلاف الحاصل في تعريف اللغة، واختلاف طبيعتها، وتعدد خصائصها ووظائفها.

يقول إدوارد سابير: " إنّ اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان، يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات، عبر رموز يؤدّيها بصورة اختيارية وقصدية."[1]

ومن خلال التعريف السابق، نستنتج جملة من القضايا المتعلقة باللغة :

– فهي وسيلة أي أداة من أدوات الاتصال، تتعلق بالإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى.

---

[1] – E.SAPIR.LANGUAGE. new york harkout bracer and world (1921) .p.08

– تكتسب اكتسابا، ولا تعتبر غريزية، أي لا تخلق مع الإنسان، بدليل أنه لم يخلق إنسان ليتكلّم لغة معيّنة، بل يكتسب لغة معيّنة من خلال المحيط والبيئة التي ينشأ فيها، ومن المجتمع الذي ينتمي إليه، ويتفاعل مع أفراده.

– تستخدم في إيصال الأفكار والعواطف والمشاعر، سواء الخاصة، أو ما يعبّر به الإنسان تجاه الآخرين، باعتبار عدم العيش منعزلا، وعدم الاستقلالية بالحاجات.

– تترجم تلك الأفكار والمشاعر والرغبات في رموز، فهي تخضع لنوع من التجريد.

– إنّ الرموز التي يستعملها الإنسان للتعبير عن أفكاره ومشاعره ليست خالية من الدلالة، بمعنى أنها تخضع للقصد، وهذا يتطلب وعيا من المرسل، وفهما من المرسل إليه، وذلك عبر وسائط لغوية مشتركة، وهذا ما يضيف شيئا من الاعتباطية لسمة الترميز.

ويشير ابن جني إلى حدّ اللغة، في كتابه الخصائص، فيقول " أمّا حدّها، فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم."[2]

إنّ هذا التعريف يضعنا في محور علاقة اللغة بالمجتمع، الذي سنفصل فيه باعتبار الحقائق المتضمنة حول اللغة، فيما لم يختلف فيه العلماء المحدثون.

ويمكن القول مبدئيا أن تعريف ابن جني من التعريفات التي توصلت إلى حقائق مبكّرة حول اللغة وطبيعتها ووظيفتها، ممّا كان محلّ اتفاق بين جمهور العلماء .

وأبرز تلك القضايا :

- الطبيعة الصوتية للغة
- للغة وظيفة تعبيرية.
- اللغة ظاهرة إنسانية

[2] – ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، نح : محمد علي النجار، ج(1)، ط(3)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص/33.

- اللغة ظاهرة اجتماعية
- اللغة تقترن بالمقاصد والحاجات والأغراض

فابن جني قد أشار في تعريفه السابق للغة إلى حقائق توضح طبيعة اللغة وتبين وظيفتها وأغراضها، وتعطيها أبعادا تداولية من خلال ربطها بالمجتمع والاستعمال.

ويمكن أن نفصّل في الحقائق السابقة، أكثر، فنقول :

– اللغة ذات طبيعة صوتية، إلا أنّ هذه الأصوات ليست بمعزل عن المعنى، وهنا نستثني كل الأصوات التي لا تعبّر عن معنى، أو تكون من باب الضجيج أو التكرار اللاواعي.

– اللغة ذات طبيعة صوتية، تخص أصوات الإنسان لا الحيوان، وفي ذلك إشارة إلى الجانب العضوي الفسيولوجي. وهو ما أشار إليه (ابن خلدون) حينما ذهب إلى أن اللغة ملكة يختص بها اللسان.

– وظيفة اللغة هي التعبير حسب رأي ابن جني، حيث صرّح بذلك في الفعل " يعبّر" ولم يقل يتواصل، إلا أنّ التعبير وإن كان عقليا أو عاطفيا، فإنه سلوك اجتماعي لا يخلو من فعل التواصل . كما أنّ في فكرة التعبير دقة وشمولية أكثر من لفظة تفكير، لأن هذه الأخيرة قد توحي بما هو ذهني فقط أو صورة عقلية .

– اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي من استعمال القوم، وهو مصطلح يقابل المجتمع، فالعرب قديما لم تكن تعرف مصطلح المجتمع، بل السائد هو القوم أو القبيلة. ولذلك فابن جني كان واعيا بأن اللغة هي نتاج جماعي، لذلك لم يقل يعبّر بها كل فرد.

– ارتباط اللغة بالأغراض والمقاصد وهي الحاجات التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها من خلال وجوده ضمن جماعة معينة، ليتحقق التفاعل بين البنيتين اللغوية والاجتماعية.

يقول الباحث عبد القادر فضيل :" فاللغة أو اللسان – كما ذكرها القرآن الكريم–هي خاصية الإنسان وأداة التعبير عن وجوده، فهي وعاء فكره، وترجمان مشاعره، ورمز هويته، ووسيلته في التواصل مع ابناء جنسه والتفاعل مع أفكارهم."[3]

يذهب (إيميل بنفنيست) في كتابه : مسائل من الالسنية العامة عن " أنا أفكّر" إلى" أن ملكة الترميز عند الإنسان تبلغ أقصى تحققها في اللغة، التي هي التعبير الرمزي بامتياز . وكل انظمة التواصل الأخرى، الخطية منها والحركية والبصرية، إلخ، تتفرع عنها وتفترضها مسبقا. لكن اللغة نظام رمزي خاص، منتظم على صعيدين، فهي من جهة واقعة فيزيائية، إذ إنها تستخدم الجهاز الصوتي لتظهر، والجهاز السمعي لتدرك. ومن هذا الجانب المادي، فهي قابلة للملاحظة والوصف والتسجيل، وهي من جهة أخرى، بنية بنية لا مادية وإيصال لمدلولات معوضة للأحداث والتجارب بالإشارة إليها. تلك هي اللغة كيان ذو وجهين. لذلك فإن الرمز اللساني هو رمز توسيطي؟ إنه ينظم الفكر ويتحقق في شكل مخصوص، وهو يجعل التجربة الباطنية لذات ما منفتحة على ذات أخرى في تعبير متمفصل وممثل، وليس عبر إشارة مثل صيحة معدلة، إنه يتحقق في لسان محدد، خاص بمجتمع متميز عن غيره، وليس في بث صوتي يشترك فيه الجنس كله."[4]

2-تعريف اللغة العربية

تعدّ اللغة العربية من اللغات المرموقة التي استطاعت أن تحتل مكانة بارزة ضمن ترتيب اللغات العالمية، سواء من حيث الاستعمال والتداول أو الانتشار والتبني الرسمي. وكذلك ما يثبت تلك المكانة صمودها عبر التاريخ في حين انقرضت لغات أخرى كانت تضاهيها مكانة . دون أن ننسى ما ماز اللغة العربية من خصائص تفردت بها أو اشتركت فيها مع لغات أخرى.

---

[3]– عبد القادر فضيل : اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، ط(02)، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015 م، ص/22.

[4]– محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي : اللغة: ، ط(04)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2005 م، ص42،41.

" واللغة العربية بالشكل الذي وصلتنا به، سواء أكانت سليلة أمهاتها الأقدم، كالآرامية أو غيرها، فقد تناهت إلينا بحروف مبينة، ونصوص متوارثة ومنقولة ومكتوبة، حفظها لنا في البدء شعر العرب المنقول، وخطبهم وأمثالهم السائرة، وقصصهم ونوادرهم التي تشافهوها، ثم دونت فيما بعد..."[5]

يقول محمد الصالح الصديق:" لا جدال في أن اللغة العربية من أثرى اللغات الإنسانية، وأغناها الفاظا واشتقاقا، وأكثرها انتشارا بين الناس، وهي – كما قدمنا– إحدى اللغات السامية التي كان يتكلم بها بنو سام، وتلك اللغات هي : العربية، والسريانية، والعبرية، والفينيقية، والآشورية والبابلية والحبشية. ولا أحد يعلم أي هذه أصل لغيرها من اللغات، وإن كلن الراجح عند الباحثين أنها جميعا مشتقة من لغة أصلية انقرضت منذ أمد بعيد."[6]

إن اللغة العربية تمثل القلب النابض للفكر العربي المعاصر، والأساس الاول الذي قام عليه هذا التراث العظيم، والأداة الحية للأدب العربي، واللسان الذي يجمع الأمة، وهي أمر اساسي وضروري لوحدة أجزاء الوطن العربي، ولها مكانة عظيمة بين اللغات الأخرى، ذلك أنها لم تكن لغة عادية كاللغات في نشأتها وتطورها وامتدادها وانتشارها، فهي لغة العرب ولغة الصحراء والبادية والخيل، وهي لغة القرآن الكريم أعظم كتاب.[7]

3-أهداف تعليم اللغة العربية وتعلمها في مؤسسات التعليم :

تختلف أهداف التي تسعى مناهج اللغة العربية إلى تحقيقها باختلاف الأطوار والمراحل الدراسية من ابتدائي ومتوسط وثانوي وجامعي، وأيضا باختلاف العصور والفلسفات التربوية وحاجات المجتمعات والتطورات التي تشهدها في ظل العولمة الثقافية .

---

[5]– دهام عبد القادر : الدلالات الاجتماعية للغة، دار نوافذ للنشر، 2011، ص/56.

[6]– محمد الصالح الصديق : العربية لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009 م، ص/36.

[7]–أنور الجندي : اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص/03.

وسنحاول ان نحدد بعض تلك الأهداف فيما يأتي :[8]

*تمكين الطلاب من استعمال اللغة العربية محادثة واستماعا وكتابة.

*التمكن من القراءة والفهم الصحيحين .

*سلامة الخط والإملاء والتمكن من التفقير والترقيم والتنظيم.

*حب المطالعة وتذوق المقروء.

*اكتساب الثروة اللغوية المناسبة .

*تعزيز حب اللغة العربية والتحسيس بأهميتها في مختلف مجالات الحياة، خاصة الوطنية والقومية والدينية منها.

*تمكن الطلاب من التعبير عن انفسهم وذواتهم بشكل سليم وواضح شفهيا وكتابيا.

* تمكن الطلاب من استعمال مختلف مصادر العلم والمعرفة استعمالا صحيحا.

*التعود على صحة الحكم ودقة الملاحظة ونقد التراكيب.

*التدريب على التفكير المتواصل المنظم.

*تنمية قدرات الإبداع و تشجيع المواهب الخاصة التي قد ينفرد بها متعلّم دون غيره من الأقران.

---

[8]– يراجع : سميح أبو مغلي : مهارات اللغة العربية، ط(01)، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، 2010م، ص/10، 11.و طه علي حسين الدليمي وسعاد عبد الكريم الوائلي : اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، ط(01)، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2009 م، ص/193.

ولكي تتحقق الاهداف السابقة وغيرها مما يسطر له في المناهج التعليمية، " صار لزاما على القائمين على التعليم وبرامجه ومناهجه ان يتبعوا الخطوات الآتية لتحقيق النجاح المرجو:

- تحليل الاحتياجات العامة للأمة من حيث نوع المهن، والمهارات المطلوبة لكل مهنة، ومستوى المهارة المطلوب لكل مهنة.
- تحليل مهارات المتعلم الحالية للتعرف على ما ينقصه من المهارات اللازمة.
- تحليل قدرات المتعلم لوضع خطة مناسبة تحقق اكتسابه المهارات اللازمة.
- وضع البرامج التي تحقق اكتساب المتعلم للمهارات المطلوبة.

وتجب الإشارة إلى أن هذه البرامج ليست امرا ثابتا، وإنما تتطور تبعا لعوامل منها :

*الخبرة المكتسبة من التطبيق.

*تغير في نوع المهارات المطلوبة.

*تغير في مستوى المهارات المطلوبة.

*تغيّر في اهداف التعليم أو التعلم."[9]

1-تشخيص واقع تعليم اللغة العربية وتعلمها في مؤسسات التعليم :

قبل تشخيص واقع تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم، فإنه من الضروري فهم أبعاد ذلك الواقع بالإشارة إلى جملة من القضايا الجوهرية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بذلك الواقع . كما أنّ ذلك الواقع الذي تعيشه اللغة العربية في مؤسسات التعليم قد أفرزته

---

[9]-عبد الله علي مصطفى : مهارات اللغة العربية، ص/21.

جملة من المعطيات، والأمر الثالث فإن تقويم الأهداف المرجوة من تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم هو النقطة الأولى التي تلقي الضوء على باقي القضايا.

ومن دون شك، فإن عملية تقويمية لتلك الأهداف والنظر في الكفاءات الختامية المحققة من تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم، يجعلنا نقدم أحكاما أولية عن ذلك الواقع الذي تحياه اللغة العربية في تلك المؤسسات، ومن ثم البحث في أسبابه وتقديم بعض الاقتراحات لتمكين اللغة العربية من احتلال الريادة والقيادة في الرقي الحضاري على المستويين الكتابي والشفهي.

وبالحديث عن ذلك الواقع يمكن ان نسجل جملة من القضايا تتمثل في :

*ضعف مستوى التحصيل العلمي والمعرفي لدى متعلمي اللغة العربية.

*عدم القدرة على إنتاج جمل بسيطة سليمة نحويا وصرفيا وصوتيا ودلاليا.

*عدم التمكن من ممارسة التعبير الوظيفي المتصل بحاجات المتعلمين .

*عزوف الطلبة عن تعلّم اللغة العربية.

*العزوف عن استعمال اللغة العربية الفصيحة في المحادثات .

*استعمال هجين لغوي بين الفصحى والعامية والفرنسية والانجليزية أحيانا.

*الشعور بالنقص والدونية أثناء استعمال اللغة العربية كتابة ومحادثة.

*عدم الاهتمام باللغة العربية، وعدم الحرص عليها من الضياع أو الزوال.

*استعمال مختلف العاميات أثناء تدريس اللغة العربية وأحيانا لغات أجنبية كالفرنسية في شرج درس اللغة العربية.

*عدم استعمال الوسائل التكنولوجية في تدريس اللغة العربية مقارنة باللغات الأخرى أو المواد التعليمية الأخرى.

*قلة الحجم الساعي المخصص لمادة اللغة العربية في بعض الأطوار التعلمية.

*غياب فكرة تطوير اللغة العربية وإصلاحها من منظومة التعليم العالي .

*غياب سياسة وتخطيط لغويين واضحين على مستوى صناع القرار السياسي حول اللغة العربية.

*غياب معالجة فعلية لقضايا التعدد اللغوي داخل المجتمعات.

*غياب التكفل المادي الكفيل بحماية اللغة العربية في أبعادها القومية والوطنية والإسلامية والعالمية.

*عدم تشجيع الكفاءات المختصة في اللغة العربية .

*عدم تشجيع الإبداع باللغة العربية، لأن اللغة تقوى بقوة الإبداع المنتج.

*عدم تشجيع حركة الترجمة الرسمية من اللغة العربية إلى لغات أخرى او العكس.

إنّ رصد هذه الملامح والحقائق التي تميز واقع تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم، يجعلنا نطرح التساؤل الآتي : هل يعود ذلك إلى اللغة العربية في حد ذاتها؟ وهذا السؤال يجعل الدارس لا يغيّب تلك الحملات المسعورة على اللغة العربية عبر مسارها التاريخي الطويل، من :

- دعوات الترويج للعاميات وإحلالها محل اللغة العربية.
- عدم قدرة اللغة العربية على التعبير عن الاختراعات التكنولوجية.
- عدم قدرة اللغة العربية على التعبير عن العلوم الأخرى.

- اللغة العربية علامة من علامات التأخر أو الرجعية .
- صعوبة اللغة العربية بسبب ظاهرة الإعراب.
- عدم مطابقة المنطوق للمكتوب في اللغة العربية .

وغير ما ذكر سابقا من دعوات وحملات قادها أجانب أو أهل اللغة العربية ذاتها بدعوات تيسير تعليمها وتعلّمها، أو خدمة لأجندة خفية ممتدة عبر تاريخ الاستعمار لمختلف الشعوب.

لنجيب عن السؤال السابق (هل ذلك الواقع يعود إلى اللغة العربية ذاتها؟) فنقول: إن اللغة العربية بريئة من ذلك، شانها شأن غيرها من اللغات الأخرى. وهنا نستحضر القضية الجوهرية الأولى التي قلنا إنها تقدّم تفسيرا لذلك الواقع وتمكننا من الحكم عليه ببساطة مقارنة بلغات أجنبية أخرى لم يذكرها التاريخ إلا في الماضي القريب.

ولعلّ خير مثال على ذلك اللغة الفرنسية، " وأريد أن أذكر هنا بسرعة أنه عند سقوط غرناطة في أواخر القرن الخامس عشر، لم يكن العالم في ذلك الوقت، يعرف لغة اسمها اللغة الفرنسية، اللغة التي يحاول بعضهم اليوم إحلالها محلّ اللغة العربية في شمال إفريقيا، فهذه اللغة لم يستقم عودها إلا في اوائل القرن السابع عشر الميلادي، وهي اليوم رغم ما تعانيه من مشاكل سواء في إملائها المعقّد أو نحوها المتشعّب، تعدّ لغة عالمية من بين اللغات الأوائل علميا. ومن الملاحظ أن اللغة التي سادت العالم بعد سيادة اللغة العربية وأفولها، كانت هي اللاتينية، وقد ازدهرت اللاتينية لمدة من الزمن، ثم اندثرت، ولم تندثر اللغة العربية، الشيء الذي وجب التأمّل فيه."[10]

[10]–مصطفى شميعة وموسى الشامي: اللغة العربية وسؤال الهوية، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2013م، ص/23.

لعلّ ما ذكر من تاريخ حول حقيقة اللغات الثلاث ؛ العربية والفرنسية واللاتينية، يجعلنا ندرك أن هناك أسبابا وراء خلق ذلك الواقع والتأثير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في مدى عدم تحقيق الأهداف المتوخاة من تعليم اللغة العربية وتعلمها في مؤسسات التعليم.

ومن تلك الأسباب – إضافة إلى الحملات المسعورة ضد اللغة العربية مما ذكرنا سابقا –، نذكر :

*غياب استعمال اللغة العربية الفصحى في الأسرة أو الوسط الذي ينشأ فيه الطفل، فمعظم الأسر لا تعير اهتماما لتلك التنشئة اللغوية، ولا تمنح الطفل في تلك المراحل فرص التعلّم المبكر للغة العربية . إن ما نلاحظه هو استعمال العاميات على اختلافها، حيث لا يخفى على المتخصصين وغيرهم ما بين الفصحى والعامية من فروقات في جميع المستويات، الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية.

*تأثير ذلك الوسط الذي يكتسب فيه الطفل العاميات في تعلّم اللغة العربية، خاصة قدرات التحصيل وجوانب الاستعداد والتعلّم للغة الثانية المغايرة للغة التنشئة، فتتشكل لدى المتعلم أنظمة تفكير بالعامية وأثناء الكلام أو الحديث بالفصحى تؤثر تلك الأنظمة في إنتاج الكلام كتابة أو مشافهة.

*شعور المتعلم في بدايات تعلمه اللغة العربية الفصحى في مؤسسات التعليم بنوع من الاستلاب أو الهدم لشخصيته، بعد ان شكّلت العاميات نظاما من القيم وأنماطا من التفكير لديه، فيكون ذلك الإحجام في تعلّم اللغة الفصحى.

*وجود تيارات متصارعة في بعض البلدان من معربين وفرانكفونيين، مع اختلاف الإيديولوجيات، وغالبا ما نجد عداء الفرانكفونيين لاستعمال اللغة العربية ومحاولة الحد من تداولها في المعاملات الرسمية أو المراسلات أو الكتابات الأدبية .

*موقف الفرانكفونيين من التعريب، حيث كثيرا ما تفشل مشاريع التعريب في الدول التي تسعى إلى تعريب العلوم، وتبنّي اللغة العربية الفصحى لغة تدريس في جميع المواد الدراسية، وفي جميع الأطوار التعليمية.

*بعض المواقف المتشددة في كون عملية التعريب ضد تعلّم اللغات الأجنبية وإقصائها، وهو وهْم وتصور خاطئ، قد أسهم في تنصيب العداء لتوسيع استعمال اللغة العربية الفصحى.

* سبقت الإشارة إلى أن اللغة العربية لم تنل مكانتها اللائقة بها وطنيا و قطريا وعربيا وإسلاميا وعالميا، لأن تحقيق هذه الأبعاد يتطلب تخطيطا رصينا، وهذا الأمر أرجعه بعض الباحثين إلى الأميّة . إنّ " تعدد الدول العربية كان من شأنه أن يدفع في اتجاه تنمية اللغة العربية نظرا لتوفر هذه البلاد على ساكنة مهمة كان بالإمكان أن تمثل مشتلا خصبا لتناسل وتكاثر المتخصصين فيها، لكن الأمية الضاربة أطنابها في هذه الدول جعل منها عائقا أمام الإنتاج العلمي والمعرفي باللغة العربية. فاللغة العربية لا تستفيد من سكانها، إذ نسبة كبيرة تسبح في ظلمات الأمية. كيف للغة ما أن تتقدّم إذا سادت الأمية بين أبنائها؟ وكيف للغة العربية ان تنتج المعرفة حينما يفضل العلماء في العربية اللغات الأجنبية، وهذا التفضيل هو نوع آخر من الأمية تعاني منه اللغة العربية."[11]

*التمسك بما خلفه الاستعمار في مختلف الدول التي احتلها، واعتبار بعض العلماء او الأدباء او الشخصيات السياسية ذلك إرثا حضاريا وجب الحفاظ عليه . ولعلّ الدارس هنا يستحضر ما قاله الشيخ البشير الإبراهيمي في خطبته التي قالها في مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة يوم الثاني من شهر نوفمبر 1962 م . فممّا قاله :" يا معشر الجزائريين إن الشيطان الذي قال عنه نبينا محم صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان قد يئس ان يعبد في ارضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك " هو (الاستعمار) قد خرج من أرضكم،

---

[11]– مصطفى شميعة وموسى الشامي: اللغة العربية وسؤال الهوية، ص/27.

ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضرورة يُقدر بقدرها."[12]

[12]–البشير الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، 305/5.